حُبِّبَ إليَّ النساء

الحضارة الإسلامية والمنهج التجريبي

نكمل درس الإسلام والحضارة . الحضارة الإسلامية حضارة دينية علمية لأن الإسلام لا يعادي العلم بل يدعو إليه بل يفرض على المسلم أنه يتعلم منهج القرآن في ذلك فهو منهج الفطرة .

وتوصَّل المسلمون إلى وضع القاعدة الأساسية في المنهج العلمي " المنهج التجريبي " الذي يقضي بأن يتوخى الباحث دراسة ظاهرة طبيعية كما هي موجودة بالفعل في عالم الواقع عن طريق ملاحظتها وإجراء التجارب عليها ، ثم التوصل من ذلك إلى وضع قانون عام .

لقد ظهر هذا المنهج التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء لاول مرة في تاريخ الحضارة البشرية على يد المسلمين المشتغلين بالعلوم التجريبية كالكيمياء والفزياء والطب .

ويعتبر جابر بن حيان المتوفى عام ٢٠٠ هـ من أوائل الذين أدخلوا هذا المنهج في أبحاثهم لقد كان جابر أعظم كيميائي عمل صيدلانياً في الكوفة ووضع عددا من المؤلفات في الكيمياء منها كتاب السين وكتاب " الخواص" وكتاب ...

حبّ النبي ﷺ النساء

قالت عبير : يكفى هذا يا أستاذ حديثاً عن العلم والدين ونعود إلى حديث الحب، لقد وعدتني يا أستاذ أن نواصل الكلام فيه منذ نحو شهر .

- كفى هذا القدر يا أستاذ ونكمل موضوع عبير .

- ليس موضوعي أنا وحدي إنما كلكن ترغبن في الحديث فيه .

ضحكت الطالبات وتهامسن . وقال الأستاذ نبيل : لا تتبرأن من رغبتكن في الحديث عن موضوع الحب فهو ليس تهمة ، والنبي ﷺ نفسه صرَّح بحبه للنساء أتذكرون الحديث الذي شرحه د. حسن مرعي " وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ أغْلَبَ لذي لُبٍّ منكنَّ ".

قالت بعض الطالبات ممن حضرن المحاضرة : نعم يا أستاذ .

- هذا الحديث مما يؤكد حبَّ النبي ﷺ النساء ومداعباته لهن صبيحة يوم العيد فيخبرهن أن غلبة الجانب العاطفي عليهن ليس ضعفاً إنما سلاح أعطاه الله تعالى لهن لمعادلة قوة الرجل البدنية فهن يستطعن أن يأسرن عقل الرجل الحازم كامل العقل.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ " [صحيح النسائي] .

النبي ﷺ يصرح بحبه للنساء ولا يعقل أن يفهم من كلامه ﷺ ما يسيء إليهن وأن ينتقص من كرامتهن وهو الذي كان دائم التوصية بهن خيراً وكان من آخرِ ما نطق به لسانه الشريف التوصية بهن كما تروي السيدة أم سلمة : " كانَ منْ آخِرِ وصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ الصلاةَ الصلاةَ وما ملكَتْ أيمانُكم حتى جعل نبيُّ اللهِ ﷺ يُلَجْلِجُها في صدرِه وما يفيضُ بها لسانُه " [صححه الألباني] .

معنى الشهوة وأشهر الشهوات

ويقول الله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ [آل عمران:١٤] .

والشهوات جمع شهوة ، وهي ثوران النفس وميلها نحو الشيء المشتهى . والمراد بها هنا الأشياء المشتهاة من النساء والبنين ... إلخ . وقيل الشهوات ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها والتزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها في القلوب ، وهو بهذا المعنى مضاف إليه الله تعالى حقيقة؛ لأنه لا خالق إلا هو . ويطلق ويراد به الحض على تعاطي الشهوات المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضاف إلى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها " .

ثم بين سبحانه أهم المشتهيات التي يحبها الناس ، وتهفو إليها قلوبهم ، وترغب فيها نفوسهم ، فأجملها في أمور ستة .

أما أولها : فقد عبَّر عنه القرآن بقوله : " من النساء ولا شك أن المحبة بين الرجال والنساء شيء فطري في الطبيعة الإنسانية ، ويكفي أن الله تعالى قد قال في العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وقال تعالى في آية ثانية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وإن بعض الرجال قد يستهين بكل شيء في سبيل الوصول إلى المرأة التي يهواها ويشتهيها وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء " [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] ولذا قدم القرآن اشتهاءهن على كل شهوة .

هل اكتفى القرآن بذكر محبة الرجل المرأة فقط ؟

قالت عبير : نحن نريد أن نتحدَّث عن محبة المرأة الرجل لا محبة الرجل المرأة .

ضحك الأستاذ نبيل وقال : لقد اكتفى القرآن بذكر محبة الرجل المرأة مع أن المرأة كذلك تحب الرجل بفطرتها ؛ لأن المرأة يهمها أن تكون مطلوبة لا طالبة . وحتى لو كانت محبتها للرجل أشد فإنها تحاول أن تثير فيه ما يجعله هو الذي يطلبها لا هي التي تطلبه .

أسرَّت خديجة لسحر التي تجلس بجانبها بشيء نقلته سحر لهناء ومنها إلى عبير التي صاحت قائلة : ألم يقل الله تعالى ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ؟!

- ماذا تقصدين ؟
- ....

ثم عادت رحلة الهمس ثانية .

- ما الحكاية يا خديجة ؟
- عبير ستخبر حضرتك .

وهنا كان الخبر قد وصل لعبير التي قالت : حضرتك قلت إن القرآن الكريم تحدَّث فقط عن حب الرجال النساء ، والحقيقة أن الله تحدَّث عن حب النساء الرجال أيضاً في قصة سيدنا يوسف .

- فهمت .. فهمت تقصدين قول الله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠]
- نعم يا أستاذ .

قال الأستاذ نبيل مازحاً : وبالطبع خديجة صاحبة هذا الاكتشاف !!

طأطأت خديجة رأسها حياءً وواصل الاستاذ نبيل مزاحه : وماذا في القرآن الكريم أيضاً يا خديجة .

- .....

قالت عبير : تكلَّمي يا خديجة .. تكلمي لا حياء في الدين .

- تكلَّمي يا خديجة .. تكلَّمي .
- أنت تحفظين القرآن الكريم ...

معنى لا حياء في الدين

قالت خديجة : ومن قال لك يا عبير لا حياء في الدين ، الدين كله حياء ، والحياء شعبة من الإيمان .

قال الأستاذ نبيل : انتظرن يا بنات .. لحظة واحدة .. أولاً : أنا أشكر خديجة لأنها صححَّت لي خطأ وقعت فيه ، ثانياً : نحن في مجلس علم ، والعلم رحم بين أهله ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

ولقد لاحظت من بداية العام أن خديجة لا تشارك معنا في الحوار إلا همساً مع المحيطين بها ، ولم أشأ أن أحرجها .

- أنا لا أحب الكلام يا أستاذ ، وأفضل السماع .

- لا تصدقها يا أستاذ فإنها لا تكفُّ عن الكلام معنا بين الحصص وفي الفسحة .

- لا يغرنك صمتها في حصة حضرتك إنها كثيرة الكلام .

قالت سحر : خديجة تحب حصة حضرتك جداً لكنها خجولة .

قال الأستاذ : الحياء نوعان : حياء يمنع من التعلُّم والتفقُّه في الدين والعلم وهذا مما يجب أن يتخلَّى عنه المؤمن ، والحياء الثاني يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي والآثام ، وهذا مما يجب ان يتحلَّى به المؤمن وهو المقصود بقول النبي الإيمانُ بِضعٌ وستونَ شُعبةً ، والحَياءُ شُعبةٌ منَ الإيمانِ " [صحيح البخاري]

وليس فيما نتحدَّث فيه ما يدعو للخجل فقد تكلَّم عنه القرآن الكريم والنبي ﷺ والعلماء والحب ليس بمستنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريع كما قال ابن حزم ، وعن ابن عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعَث سريَّةً فغنِموا وفيهم رجُلٌ فقال إنِّي لَسْتُ منهم عشِقْتُ امرأةً فلحِقْتُها فدَعُوني أنظُرْ إليها نظرةً ثمَّ اصنَعوا بي ما بدا لكم فنظَروا فإذا امرأةٌ طويلةٌ أَدْماءُ فقال لها أَسلِمي حُبَيْشُ قبْلَ نفادِ العيشِ أرأَيْتِ لوِ اتبَعْتُكم فلحِقْتُكم بحَلبةٍ أو أَلْفَيْتُكم بالخَوانِقِ أمَا كان حقًّا أنْ ينُولَ عاشِقٌ تكلَّف إدلاجَ السُّرى والوَدَائقِ قالت نَعَمْ فدَيْتُكَ فقدَّموه فضرَبوا عُنقَه فجاءتِ المرأةُ فوقَفَتْ

عليه فشهَقَتْ شَهقةً أو شَهقتَيْنِ ثمَّ ماتت فلمَّا قدِموا على رسولِ اللهِ أخبَروه ذلكَ فقال رسولُ اللهِ " أمَا كان فيكم رجُلٌ رحيمٌ " [صححه الألباني] .

دقَّ جرس الحصة فصاحت الطالبات تستعطفن الأستاذ مواصلة الحديث وأنهن سيتأذن من أستاذة المجالات ، لكن الأستاذ نبيل رفض ووعدهن بتكملة الموضوع في الحصة القادمة إن شاء الله .

***